

## دور المرأة وإسهاماتها في التمكين للأسرة

أ.د حجية شيدخ

جامعة باتنة -1-

التمكين مصطلح قرآني، ارتبط بمفهوم الاستخلاف والتعمير في الأرض، فهو بمضامينه يقوم على تعاون مجموع الناس لتحقيق عمارة الأرض، يقول تبارك وتعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ النور/55.

أما مفهوم التمكين الذي ظهر في الغرب مع ظهور وانتشار الحركات النسوية، وفرض بموجب العولمة على المجتمع الإنساني، فإنه يرسخ الفردانية، إذ وجهت معانيه إلى استقواء الأنثى والتمركز حولها. فغابت الوظيفة الإسلامية الصحيحة لدور المرأة وأهميتها في تثبيت ركائز الأسرة و اختفت وراء أهداف دنيوية تخدم مصالح المرأة وخلصها الفردي. فأتت هذه المداخل، للإجابة على الإشكالية التالية: ما مفهوم التمكين، وما مخاطره على الأسرة، وكيف تبصر المرأة للتمكين للأسرة بدلا من التمكين لنفسها، في ضوء ما تواجهه من تحديات إعلامية وواقعية عقدية وفكرية؟ وقد قسمت المداخل إلى ثلاثة عناصر:

أولاً: مفهوم التمكين.

ثانياً: مقاصد بناء الأسرة والواقع الجديد.

ثالثاً: تمكين المرأة لتمكين الأسرة .

أولاً: مفهوم التمكين :

لغة : من مكن، وتمكن واستمكن، ومكين، أي ذي مكانة وقدر ومنزلة ..و المكنة التمكين، ومن أقوال العرب: بنو فلان ذووا مكنة من السلطان أي تمكّن... والمكانة : المنزلة عند الملك... وتمكن من الشيء واستمكن ظفر...<sup>1</sup>. فأفادت الكلمة: القدر والمنزلة والسلطان والظفر.

اصطلاحاً:

عرف بأنه: بلوغ حال من النصر، وامتلاك حال من القوة، وحياسة شيء من السلطة والسلطان والتأييد من الأنصار والأتباع، وهو لون من الترسخ في الأرض وعلو الشأن<sup>2</sup>.

وعرفه ابن عاشور بأنه : "تقوية التصرف في منافع الأرض والاستظهار بأسباب الدنيا، بأن يكون في منعة من العدو وفي سعة في الرزق وفي حسن حال"<sup>3</sup>.

التمكين في القرآن الكريم :

وردت لفظة التمكين في القرآن الكريم في ثمانية عشر موضعاً، بعضها توجه إلى الحديث عن التمكين من الناحية المادية وبعضها تحدث عن التمكين من الناحية المعنوية.

<sup>1</sup> انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة مكن، والأصفهاني: مفردات القرآن الكريم، مادة: مكن .

<sup>2</sup> فتحي يكن، نقلا عن علي محمد الصلابي، فقه التصبر والتمكين في القرآن الكريم، 18 دارالمعرفة، بيروت، ط5، 2009.

<sup>3</sup> ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر 1984م ، 138/7 .

من الآيات التي تحدثت عن التمكين ببعده المعنوي قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور/ 55]. ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [الحج: 41] ففي الآيتين وعد من الله بنصرة الدين يطيعونه، والدين إن مكَّنهم في الأرض أقاموا الدين، فالتمكين مشروط بالصلاح. والتمكين المادي، وهو استخدام الأرض وما فيها من الناحية المادية وتسخيرها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ [الأنعام/ 6]. فقد ورد تمكين هؤلاء القوم في الأرض، ثم عرض مظاهر التمكين التي منها: إرسال الأمطار، وتيسير جريان الوديان... ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ، وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً، فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ، إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ، وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأحقاف/ 26]. فقد عاب الله عز وجل على الأقوام السابقة التي كفرت بأنعم الله، فلم تستفد مما أمكنها الله منه من قوى العقل والحس، فعاد كانت لها العدة والعدد أي المكنة، لكنها حين كفرت بأنعم الله كانت نهايتها العقاب.

ومنها: قوله تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف/ 84]، فقد أورد المفسرون أن الله عز وجل سخر له كل ما الكون من ماديات: وهذا يشمل التمكين المادي والمعرفي: فمن كل شيء سببا تفيد أنه أعطاه مفاتيح وأسباب تحقيق ما يكون به التمكين. وفي سورة يوسف، يقول الله عز وجل: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾ فَمَا كَلِمَةُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف/ 54]، فأفاد التمكين معنى: عظم المكانة، والقدرة على التصرف في كل الأمور. وورد في القرآن الكريم تمكين للجماعة وتمكين للأفراد، لكن تمكين الأفراد كان لتحقيق استقرار وأمن الجماعة، ويذكر التمكين دائما بشكل إيجابي حتى مع الذين لم يحسنوا استثماره، فكان ابتلاء لهم. والذي نخلص إليه: أن صيغ مصطلح التمكين في القرآن الكريم تنوعت، لكن مضامينه كلها تدور حول ما ورد من معانيه اللغوية: الظفر، القوة، الملك، المنزلة ...

والتمكين في القرآن الكريم، إذا صحبه الصلاح وإقامة دين الله فهو تمكين بمعنى الخلافة، أما إذا كان استعمارا للأرض ورفضاً لدين الله، فإنه تعمير ينتهي بالخراب، فالتمكين الصحيح يحقق بإقامة الدين، وسنن الله في التاريخ تؤكد أن الأرض لله ولا يرثها الظالمون المذنبون، وإن حكموا لفترة فتمكينهم بعيدا عن دين الله ينتهي إلى الخراب.

**مفهوم التمكين في الفكر الغربي:**

التمكين في مفهومه العام، ارتبط بالتنمية والتطور، فهو تحرك وفاعلية، يتعلم من خلاله الأفراد، المعرفة والمهارات، من أجل تقييم الوضع، واتخاذ الأسباب الضرورية لتغييره. وقد كان له حضور في مجالات كثيرة: التعليم والاقتصاد والسياسة والصحة والإدارة وعلم النفس ...

وارتبط التمكين في الفكر الغربي بصورة لافتة بالمرأة، بعد ظهور الحركة النسوية، وتطورها من المطالبة بالحقوق إلى المطالبة بالمساواة. وهو ترجمة غير دقيقة للفظة: empowerment لأن ما يقابل هذه اللفظة في العربية بدقة، هو: الاستقدار، وظهر مصطلح تمكين المرأة: empowerment مع قرارات الأمم المتحدة، ومنها لقاء مجموعة: التنمية البديلة بمشاركة المرأة من أجل عهد جديد، سنة 1984م، ثم في مؤتمر السكان والتنمية بالقاهرة سنة 1994م ثم في مؤتمر بكين سنة 1995م، الذي ورد فيه بأنه: "كل جهد مبذول يهدف إلى إزالة، جميع العوائق التي تحول دون مشاركة المرأة مشاركة فعالة، في جميع المجالات العامة والخاصة من خلال حصولها على نصيبها الكامل والمنصف في صنع القرارات الاقتصادية، والاجتماعية والثقافية، والسياسية".

ويعتبر مصطلح التمكين، والصحة الإنجابية والجندر أهم المصطلحات التي لم يُتفق على مدلولاتها في مؤتمر بكين، وكانت هناك محاولات لتمريرها دون تحفظ<sup>4</sup>. ولأهميته تكرر في الوثيقة عشرات المرات: فورد في مقدمتها: نكرس أنفسنا دون تحفظ، لمعالجة هذه القيود والعقبات، فنعزز بذلك سبل النهوض بأحوال المرأة وتمكينها في جميع أنحاء العالم...<sup>5</sup>. ومصطلح التمكين مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالجندر، ويكاد بعض الباحثين يعتبرهما شيئاً واحداً، ويمكن أن يكون السبب في ذلك مآلات كل منهما<sup>6</sup>. وفي سنة 2010 م غيرت الأمم المتحدة اسم الهيئة القائمة على قضايا المرأة. لجنة وضع المرأة. إلى: هيئة الأمم المتحدة لمساواة الجندر وتمكين المرأة United Nations Entity For Gender Equality and the Emooowertment of Women<sup>7</sup>، وينظر الناقدون للتمكين أنه لا يعني إشراك المرأة في صنع القرارات، وإنما تمكينها من تغيير جنسها ووظائفها وتفوقها على الرجل.

لقد كان التأكيد على مفهوم التمكين للمرأة من أساسيات المؤتمرات التي كانت تسعى للنهوض بالمرأة، وقد استطاعت أن تفرض قوانينها على العالم، وكان أهمها اتفاقية القضاء على جميع أشكال العنف ضد المرأة "سيدوا" عام 1979م. وكانت فلسفة الجندر أساس تفعيل التمكين للمرأة، ذلك لأن تمكين المرأة لا يحصل في ظل التفرقة على أساس الجنس بينها وبين الرجل، هذه التفرقة التي اعتبرتها النظرية النسوية والفكر الحدائي من صنع المجتمع والفلاسفة الذكور، فكانت أهداف الجندر تتمحور حول: إلغاء الفوارق البيولوجية العضوية بين الجنسين، فلا اعتبار عندهم للميول الفطرية عند الذكر والأنثى، أو الغريزية؛ ميول الرجل للمرأة أو المرأة للرجل، والشذوذ الجنسي حسب رأيهم يؤكد ذلك. وعدم الاعتراف بتركيبية الجسد عند المرأة الذي يجعلها مهيأة للحمل والإرضاع...وبهذه الفلسفة تقرّم قيمة المرأة داخل الأسرة.

وهناك مصطلحات أخرى كانت من مبتكرات تأكيد التمكين للمرأة منها: التمييز الإيجابي، فبدأت النظرية النسوية بالدعوة إلى المساواة، ثم التمكين، وهذا التمكين يمكن أن يكون بأثر رجعي، وذلك عن طريق ما يسمى بالتمييز الإيجابي، وهو: عبارة عن سن قوانين بموجها تحصل المرأة امتيازات تعويضية استرجاعية عما حرمت منه من قبل، ولا يعتبر هذا منافياً لمفهوم المساواة التي يدعون إليها<sup>8</sup>. ومن المصطلحات الخبيثة التي ظهرت ويفيد ظاهرها التمكين للمرأة وهي في الحقيقة تدمير لها وللأسرة مصطلح: الصحة الإنجابية، وهو يحتوي على بعض الإيجابيات لأمومة آمنة، وصحة المرأة الأمور التي لاخلاف فيها، إلا أنه يشمل أموراً مخالفة للشرع والأخلاق منها تجريم الزواج المبكر والتنفير منه، والحد من الإنجاب، وإباحة الإجهاض وحبوب منع الحمل عند المراهقات<sup>9</sup>، وفي هذا تناقض واضح، ففيه تحريم للحلال وترويج للحرام، وقريب منه مصطلح: تنظيم الخصوبة، ومصطلح: الأدوار النمطية والذي تردد كثيراً في مقررات الأمم المتحدة لتميع الزواج ومقاصده، وشرعنة الزواج المثلي...وهي مصطلحات تحمل مضامين تهديمية، مقصودة لتدمير مؤسسة الأسرة.

<sup>4</sup> انظر: نهى بنت عدنان القاطرجي، معجم المصطلحات الدولية حول المرأة والأسرة: 7، مركز باحثات، الرياض، ط1، 2016.

<sup>5</sup> الفقرة السابعة من نص الوثيقة

<sup>6</sup> انظر: زينب عبد العزيز، احدثوا هذا المؤتمر، صفحة الداعية زينب عبد العزيز، موقع، صيد الفوائد.

<sup>7</sup> سيدة محمود محمد، التمكين النسوي بين المنظورين الغربي والإسلامي 148

<sup>8</sup> انظر: نهى بنت عدنان القاطرجي، معجم المصطلحات الدولية حول المرأة والأسرة، 127، مركز باحثات، الرياض، ط1، 2016.

<sup>999</sup> انظر: نهى بنت عدنان القاطرجي، الحركة النسوية في لبنان، 333، دار الكتب المصرية، ط1، 2008.

## أثار مفهوم التمكين على الأسرة:

ورد في مخرجات مؤتمر بكن لتمكين المرأة بعض البنود التي اعتبرها كثير من الغيورين على الأسرة، تدميرا ممنهجاً لمؤسسة الأسرة، وهي معارضة لما تتفق عليه العقول السليمة والشريعة الإسلامية، ومن هذه القرارات:

القرار 12: تمكين المرأة والنهوض بها، بما في ذلك الحق في حرية الفكر والضمير والمعتقد والدين ...

15: أن المساواة في الحقوق والفرص، والوصول إلى الموارد، وتقاسم الرجل والمرأة المسؤوليات على الأسرة بالتساوي ...

17: أن الاعتراف بحق جميع النساء في التحكم في جميع الأمور المتعلقة بصحتهن، وخاصة تلك المتعلقة بخصوبتهن، وتأكيد هذا الحق مجدداً أمر أساسي لتمكين المرأة ...

32: مضاعفة الجهود لضمان تمتع جميع النساء والفتيات اللاتي يواجهن عقبات متعددة تحول دون تمكينهن والنهوض بهن، بسبب عوامل مثل: الأصل العرقي أو السن أو اللغة أو الانتماء الاثني أو الدين أو الإعاقة.

فهذه النصوص وغيرها تحمل مضامين سلبية تعود بالدمار على الأسرة: إذ تمنح للمرأة والفتاة، الحرية المطلقة في المعتقد والدين، والمساواة التامة في الحقوق والفرص، داخل البيت وخارجه، وبذلك تسقط القوامة والانفاق على الرجل، فتصبح المسؤولية المادية والمعنوية ملزمة للزوجين، ويصبح العمل خارج البيت إلزامي للمرأة، في حين أن الشريعة الإسلامية، من مظاهر تكريمها للمرأة أن جعل القوامة للرجل، وعليه النفقة، فإنفاقها على أسرته ليس إلزامياً بل تطوعاً منها.

كما ورد في الفقرات السابقة: تدليل جميع العقبات أمام النساء والفتيات، وذكر من بينها الدين، فالتمكين إذا تعارض مع الدين، تعطى له السلطة وتلغى سلطة الدين.

وينظر الداعمون لمفهوم تمكين المرأة أنه لا يمكن أن يحصل في ظل وجود تحديات كثيرة منها: تكريس المرأة حياتها للأسرة، وذلك عن طريق تقسيم الأدوار الذي أوجده الرجل لتدعيم ذكوريته، فتعالت الأصوات بعدم أهمية الأسرة بصورتها التقليدية، والدعوة إلى وجود أنماط جديدة للأسرة تقوم على علاقات شاذة. وقد ورد في المؤتمرات السابقة على بكن، الحديث عن ذلك.

الإنجاب: ورأت الحركات التي تدعم النظرية النسوية أن الإنجاب من معيقات التمكين للمرأة، ولذلك فليتمكين المرأة لا بد من تأخير سن الزواج. وتعطيل الإنجاب.

لقد كان لدلالات التمكين التي رُوج لها في الغرب وانتقلت إلى العالم تأثير مدمر على الأسرة، إذ بدلا من تكامل الرجل والمرأة في البناء الأسري دعت هذه المفاهيم إلى القطبية الأحادية، والعداء بينهما فتعثرت الوظيفة الصحيحة للأسرة.

**ثانياً: مقاصد بناء الأسرة والواقع الجديد:**

الأسرة هي أهم مؤسسة في المجتمع، تتحقق من بنائها مقاصد عالية، أهمها: الحفاظ على النوع الإنساني لتحقيق مفهوم الخلافة في الأرض، وتنظيم العلاقات بين الذكور والإناث لتحقيق السكن والمودة بالطريق المشروع: الزواج، وحفظ الأنساب ونظافة المجتمع من العلاقات المنحرفة.

وقد اهتم الإسلام بأسس الحفاظ على هذه المؤسسة، ابتداء من حسن اختيار الشريك، إلى تفاصيل الخطوبة والمهر، وعلاقة الأبناء بالآباء، والآباء بالأبناء، وتدريب الخلافات داخل الأسرة... وفي كل الأحوال كانت توضع القوانين التي تؤدي إلى الاستقرار وتحقيق الأمن داخل هذه المؤسسة لتكون فاعلة في المجتمع والأمة.

في ظل العولمة تحول العالم إلى قرية صغيرة، تحاول الدول القوية الهيمنة عليها وفرض قوانينها على الجميع بكل الوسائل، وقد رأينا من قبل ما تتبناه الهيئات العالمية من قوانين وإجراءات ملزمة لجميع الدول وما تحمله هذه القوانين من بنود مخالفة لديننا ...

استطاعت هذه التغيرات التي طرأت على الأسرة في الغرب، أن تصل إلى مجتمعاتنا الإسلامية، فظهرت كل أنواع الانحراف في مجال الأسرة ومنها: القلق العقدي عند الأبناء، والزواج المثلي، والعزوف عن الزواج الصحيح وركائزه، وانتشار تعاليم النظرية النسوية عند شبابنا وشباتنا بصفة عامة ...

ومما ساعد على ذلك تنوع وسائل الإعلام التي تسهل نقل الأخبار والبرامج المتنوعة وتنتشر المحتويات المجانية عن طرق الفن الهابط من الأغاني البذيئة والمسلسلات الفاسقة، ونتيجة كل ذلك وجدنا أنفسنا أمام زمن صعب، يحتاج منا إلى اليقظة، وتقويم وتقويم واقعنا، والاجتهاد أكثر مما يجتهد المناهضون لدينا ومبادئنا.

### ثالثاً: تمكين المرأة لتمكين الأسرة:

#### المفهوم الإسلامي لتمكين المرأة:

تقوم الحياة الأسرية في الإسلام على التكامل في الأدوار بين الرجل والمرأة داخل الأسرة، والمرأة بفطرتها تقع عليها مسؤوليات كثيرة: بحكم كثرة احتكاكها بالأبناء، وهذا من أسرار سعادة المسلمة على عكس ما تروج له نساء الحداثة. وللمرأة في الإسلام مكانة مرموقة، فقد مكّنها الإسلام من جميع الحقوق الروحية، فسوى بينها وبين الرجل في الأوامر والنواهي، إلا ما كان منها خاصاً بالطبيعة الفطرية لكل واحد منهما، ووعد بالجزاء نفسه لکليهما ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ النحل/97. وفي مجال العلم ترك الإسلام للمرأة حرية أخذ ما تشاء من العلوم دون تمييز بينها وبين الرجل في ذلك مع الالتزام بضوابط الشرع، وفي الحقوق المدنية، أباح لها أن ترث، وأن تكون صاحبة أعمال و مال<sup>10</sup>.

وقد كان للمرأة حضور مميز في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم؛ أما و مربية وزوجة وبنتا وأختا، وكانت تحظى باحترام كبير منه ومن المجتمع الإسلامي، فقد كانت خديجة رضي الله عنها بخبرتها وحكمتها سنداً لع عليه الصلاة والسلام في بداية دعوته، وقد أخبرتنا كتب السيرة عن دورها في التمكين للدعوة، وكانت عائشة أم المؤمنين العالمة العابدة محببة إليه لذكاها وأدبها وعلمها، وهذا يؤكد لنا أن المرأة القوية بمالها وحكمتها وعلمها كانت محببة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان للنساء حضور في مجالس العلم، ومشاركات في الغزوات والتمريض والتجارة ... كل ذلك يفيد أن ما يدعوا إليه الغرب من تمكين للمرأة في شقه الإيجابي كان موجوداً عندنا منذ مجي الإسلام، فقد مكنتها الشريعة من جميع الحقوق، لكنه تمكين رسالي رباني مرتبط بالاستخلاف، والاستخلاف ذو شقين: عبادة وعمارة. لقد كان تمكين الإسلام للمرأة من تمكين جنس الإنسان الذي ميزه الله عز وجل بالكرامة التي ترتفع به ليكون قريباً من الله عن طريق احترام إنسانيته وانضباطه بالشريعة، لكن موجة الفكر الغربي الذي انحدر بالإنسان أسفل سافلين، وصلت إلى عالمنا موهمة له بالتفوق والريادة.

لقد أخرج الإسلام المرأة والأسرة من تقاليد الجاهلية الظالمة إلى رحابة الإسلام بنوره وعدله ويسره... إلا أن التغريبيين في البلاد الإسلامية، يسعون إلى إرجاعها إلى جاهلية أكثر فساداً، جاهلية مبنية على النظريات المتوسلة بالتطور المشوه الذي اكتسبه الإنسان عبر العصور.

#### كيف يكون التمكين للمرأة المسلمة في زماننا؟

تواجه المرأة المسلمة في زماننا تحديات كثيرة، منها: عدم الفهم الصحيح لدينها، والقلق بسبب إثارة الشبه حول الإسلام عقيدة وشريعة، والترويج للأحاديث الضعيفة والموضوعة التي تحط من قيمة المرأة، والنظرة القاصرة إليها من قبل كثير ممن يعرضون الإسلام، والذين يتحدثون عن الدين دون زاد علمي ومعرفي، إلى جانب فساد مناهج التعليم والمحتوى

<sup>10</sup>. انظر: إكرام بنت كمال المصري، جهود بعض المنظمات والجمعيات النسائية الإسلامية في مواجهة مؤتمرات المرأة الدولية، 18، 19، مركز باحثات لدراسات المرأة، ط1، 2016.

الإعلامي الذي يشجع الفساد الأخلاقي عبر الأغاني والمسلسلات والحصص الترفيهية، التي تنشر الفسق والمجون... وبصفة عامة عولمة المرأة، إذ يسعى الإعلام إلى جعل المرأة الغربية سيدة المقام، المتمكنة من الحرية، المساوية للرجل، فهي القدوة وغيرها من النساء متخلفات، وعولمة المرأة من أشهر المفاهيم التي ظهرت في الآونة الأخيرة، وهي الجانب الاجتماعي والثقافي في العولمة بمعناها العام، وتعني جعل المرأة كائنًا عالميًا، فوق الحكومات وأعباءا للقرارات، ولتسهيل ذلك وتفعيله لابد من عقد المؤتمرات، وتوقيع الاتفاقيات العالمية التي تلزم بحقوق هذا الكائن<sup>11</sup>.

أمام هذه التحديات علينا إعداد المرأة وتأهيلها لتكون قادرة على قيادة الأسرة، ويكون ذلك بالتعليم والتربية ومعرفة الحكم العالية من البناء الأسري؛ والتعليم المطلوب حاليا ليس التعليم السطحي والسعي وراء الشهادات من أجل التكسب، وإن كان هذا مشروعا، فالهدف الأساس هو البناء، وخير ما يمكن أن نستثمر فيه تعمير بيوتنا... فلا بد أن تكون المرأة عالمة بأمور دينها، وبما يحاك من قبل الفكر المنحرف ضد الإسلام عموما والمرأة بصفة خاصة، والأحداث الأخيرة في غزة كشفت لنا أننا بحاجة إلى إعادة بناء أسرنا مقتدين بالمرأة الغزية التي كانت تحمل هم القضية، فربت أبناءها على الدين الصحيح، فكانت مدرسة قوية في التأهيل الأسري انفتحت على القرآن فأخذت روحه وتعاليمه فبنت لنفسها وأهلها بناء ريانيا مكينا، أما خارج غزة كانت المرأة العربية المسلمة في غالب تصرفاتها تائهة تجري وراء ما يحقق لها التضخم والخلاص الفردي، فرأينا فنانات الفن الهابط يعرضن مفاتهن في مسلسلات لا قيمة لها في التربية والحياة، ويتبجحن بعرضها في رمضان، وهؤلاء من إفرازات التمكين الغربي للمرأة.

إننا بحاجة إلى تكوين المرأة العالمة التي تكون قادرة على الإجابة على أسئلة أبنائها الذين يتعرضون إلى التشكيك في معتقداتهم ومبادئهم، عن طريق المؤثرين في وسائط الإعلام، وعن طريق الرسوم المتحركة والأفلام... وليس مهما أن تجد عملا خارج البيت أم لا، وضرورة تجاوز المفهوم السلبي للمرأة الماكثة بالبيت، فالماكثة بالبيت تبني مستقبلنا، ولا بد أن تكون متمكنة من خبرات كثيرة لتكون قادرة على قيادة بيتها... فالمرأة العالمة لها دور في التمكين للأسرة لأن علمها يكسبها قوة الشخصية للتحكم في أبنائها، واتخاذ الحلول المناسبة في الحوادث المختلفة، فتكون الأبناء القادة مثل قادة حماس.

إن تأهيل المرأة يكون بإعطائها المكانة اللائقة وإعدادها إعدادا يؤهلها لتكون صانعة الأجيال، وقد اهتم علماء المسلمين، إلى هذه الثغرة في الفكر الإسلامي، إذ همّشت المرأة لفترات طويلة، وهي أساس بناء الأمة، فأعطوها مساحة من كتاباتهم، لأن غياب حديث المرأة المسلمة العالمة عن نفسها وحديث العلماء عن مكانتها ودورها، أوهم النساء في العالم الإسلامي، بمشروعية ما تدعو إليه المرأة في الغرب وأنه يخرجها من الظلام إلى النور، وقد ناقش العلماء قضايا المرأة من كل النواحي، وكان مما أكد عليه أن ربة البيت ليست التي تجيد أعمال الطهي وتقوم على خدمة الرجل، وإنما هي التي تملك الحكمة في تدبير شؤون بيتها والقيام على تنشئة الأجيال القادمة، ولا يمكن لامرأة جاهلة أو ذات ثقافة محدودة أن تفعل ذلك وبالتالي فهي المرأة العالمة الحكيمة. يقول محمد الغزالي: "وظيفة ربة البيت، من أشرف الوظائف في الوجود، ولا يحسنها إلا من استكمل لها أركي الأخلاق وأنقى الأفكار... أليست هي حضانة الأجيال، الجديدة وشق الطريق أمامها حتى تنبت نباتا حسنا؟ إن تصور المرأة في البيت إنسانا قاعدا، لا شغل لها، جهل شنيع بمعنى الأسرة"<sup>12</sup>. وللمرأة دور كبير في تماسك الأسرة سواء كانت زوجة أو بنتا أو أختا، ويمكنها إذا لم تنجر أمام المفاهيم السلبية لفلسفة التمكين أن تكون فاعلا حضاريا مميّزا بقيامها على حماية الأبناء من مدمرات الحضارة، فتكون خير جليس لأبنائها

<sup>11</sup> انظر: المرجع السابق. 22، 23.

<sup>12</sup> انظر: محمد الغزالي، ركائز الإيمان بين العقل والقلب، 221.

تجاوزهم، تصحح لهم المفاهيم الخاطئة التي ترّوج عبر مختلف الوسائل، تعرف طموحاتهم، تتابع معهم اهتماماتهم، تراقب ما يتابعون في وسائل الإعلام المتنوعة، فترشدهم إلى ما فيه خيري الدنيا والآخرة، فتمكين المرأة للأسرة، بتكوينها لتكون في مستوى المسؤولية التي تقوم بها، لتصبح عنصراً فاعلاً في نقل خبراتها إلى الأجيال، ففاقد الشيء لا يعطيه. إن المرأة العاملة بأمور دينها الواعية بحاضر أمتها، وما يحاك لها تستطيع أن تمكن للأسرة على المستوى النظري، بمحاربة الأفكار الهدامة، والتيارات التغريبية التي تريد أن تفرض علينا سلطتها، وعلى المستوى التطبيقي بإيجاد وتبني المشاريع الهادفة التي ترتقي بالمجتمع وتخدم الأسرة والأمة.

**مشاريع تمكين للأسرة:**

في إطار التمكين للأسرة والمرأة، ظهرت مشاريع كثيرة في العالم الإسلامي، تنوعت بين مراكز البحث، والجمعيات، والمجلات، كانت لها إسهامات فاعلة على المستويين النظري والعملي، فيما يلي سنقف مع بعضها:

#### أولاً: مشاريع تابعة لجمعية العلماء المسلمين: لجنة الأسرة والمرأة والطفل:

لطالما كان لجمعية العلماء المسلمين اهتمام كبير بالمرأة وتكوينها، وقد كانت رائدة في ذلك منذ عهد ابن باديس الذي سعى إلى تعليم البنات انطلاقاً من قناعته أنك: إذا علمت ولدا فقد علمت فرداً وإذا علمت بنتاً فقد علمت أمة. فكان الهدف الأساس هو الخروج بالبنات من ظلام الجهل إلى نور العلم لتكون لهن بصمات واضحة في بناء الأسر والحفاظ عليها لتكون قادرة على المشاركة في النهوض الحضاري، فكانت صحافة الجمعية منبرا مهما في الحفاظ على مؤسسة الأسرة، عبر معالجة قضاياها والتوعية بمخاطر التجهيل والفكر التغريبي، وبعد تفعيل الجمعية بعد الاستقلال واصلت رسالتها التي بدأها ابن باديس، وكان للجنة الأسرة والمرأة والطفولة، دور فاعل في نشر الوعي والعمل على ترسيخ مبادئ الجمعية وفق برامج محددة، تتمثل في الملتقيات، والندوات، والنوادي، ودورات الإرشاد الأسري، وعبر الإعلام وبخاصة جريدة البصائر لسان حالها، التي خصصت صفحة منها للأسرة، لتكون منبرا للحديث عن اهتمامات المرأة والأسرة، وتكون حصناً لرد الشبه حول قضاياها.

ومن ملتقيات الجمعية في هذا المجال: ملتقى: الأسرة المسلمة الواقع والمأمول الذي نظمته شعبة برج بوعريش أيام 20 و21/2013م، وملتقى: الأسرة والطفولة والشباب: مشكلات وحلول الذي أنجزته شعبة فرجيوة بالتعاون مع الشعبة الولائية لولاية المسيلة، بتاريخ 2014م، وملتقى: مؤسسات التنشئة الاجتماعية ودورها في صناعة الإنسان، الذي نظمته شعبة عين ولمان بتاريخ: 13 ماي 2023م، وملتقى: الأسرة ودورها في صناعة الإنسان الذي نظمته الشعبة نفسها بتاريخ 28 ديسمبر 2024م ... ثم تتويج هذه الجهود بمجلة خاصة بقضايا المرأة والأسرة والطفولة، وهي "مجلة أصرة" التي أنشأتها مجموعة من الباحثات الجزائريات، متفرعة عن مجلة البيئة التابعة لجمعية العلماء المسلمين، وقد صدر العدد الأول منها سنة 2021م.

هذه المجلة أنشئت للتمكين للأسرة، والمرأة بمنهج إسلامي أصيل مرجعيته القرآن والسنة، وقد استقطبت أقالماً كثيرة من داخل الوطن وخارجه، كانت منصة لمناقشة قضايا المرأة وحضورها في زمن النبوة وبعده، وصفة المرأة والأسرة في القرآن الكريم، كما ناقشت قضايا المرأة في الفكر الحديث، وفي مقالات كثيرة منها تركيز الحديث عن مقاصد البناء الأسري، وما يهدد الأسرة من الأفكار المتطرفة. كما اهتمت بالحوار مع نساء رائدات في العالم الإسلامي، بقصد الفاعلية والقنوة، لحماية بناتنا من التأثر بالحدائث. فحاورت عالمة زينب عبد العزيز التي مثلت حصناً منيعاً للدفاع على الإسلام ضد المسيحية والصهيونية والأفكار الوافدة، وتابعت بذلك ونقد المؤتمرات التي كانت بانية ومرسخة لمفهوم التمكين، مثل: مؤتمر القاهرة سنة: 1994م، ومؤتمر بكين سنة: 1995م ومقالاتها موجودة في صيد الفوائد، والداعية حنان لحام التي تميزت كتاباتها بالثراء والحرص على بناء المرأة المسلمة بناءً أصيلاً انطلاقاً من حديثها عن السيرة النبوية

بمنهج حركي، إذ كانت كثيرا ما تغتنم فرص الأحداث لإيصال الرسائل التربوية إلى بنات المسلمين بمنهج مقاصدي واقعي، وكان لها في هذا المجال مجموعة من الكتب منها: تأملات في منزلة المرأة في القرآن الكريم، وكتب عدة عن الصحابيات .

#### ثانيا : جمعية حورية للمرأة الجزائرية :

وهي جمعية جزائرية اعتمدت في شهر جوان سنة 2014م، تعمل على ترقية المرأة الجزائرية في جميع المجالات وحماية أسرتها ووطنها، وهي أول جمعية وطنية خاصة بقضايا المرأة، ترأسها سابقا : الأستاذة : عتيقة حريشان ، وترأسها حاليا الدكتورة : عائشة سيرير. جمعية حركية دائمة العطاء، انطلقت من التمسك بثوابت الأمة والوطن للدفاع عن شؤون المرأة لكي لا تنصهر أمام التيارات الوافدة، وتكون عضوا فاعلا في المجتمع.

وقد رسمت سيدات الجمعية لها ، مجموعة من الأهداف نذكر منها: تأهيل قيادات نسوية فاعلة ومؤهلة لمواكبة المتغيرات، والاهتمام بالمرأة الجزائرية وتوعيتها ومساندتها اقتصاديا واجتماعيا، والتدريب التربوي والمجتمعي للأفراد بما يضمن استمرار واستقرار الأسرة، ومرافقة ومواكبة النضال النسوي الذي يضمن مكانة المرأة وفق المبادئ والثوابت الإسلامية، والتعاون مع الجهات ذات التوجه المشترك لتحقيق رقي المرأة واستقرار الأسرة، وتوعية النساء وتثقيفهن في الجوانب القانونية والتشريعية<sup>13</sup> ...

وقد جُسدَت هذه الأهداف عبر الملتقيات والندوات و الورشات والمشاريع المختلفة : منها ملتقى: المنظومة الدولية الحقوقية، بين التواطؤ والخذلان : معاناة المرأة الغزافية نموذجا :16 أكتوبر 2024، وندوة نحو تمكين حقيقي للمرأة ...واقع وآفاق. الذي أجري يوم 08 مارس 2025م.ومن الورشات، عبر الوسائط المختلفة، منها: ورشة : النجاح الأسري يوم 07: 2024/12/07م. وورشة:الاتفاقيات الدولية وتأثيرها على الأسرة....حضوريا وعبر الوسائط المختلفة.

كما تجسد واقعيًا عبر مشروع لجنة للتأهيل الزوجي، الذي انطلق تحت شعار : الذي يسعى إلى إعداد مائة مدربة لتكوين 16.000 مقبل ومقبلة على الزواج عبر ولايات الوطن على مدى خمس سنوات . . وقد احتفلت الجمعية بتخرج الدفعة الثانية يوم : 19 /04/2025م، بعد سنة من التأهيل والعمل المتواصل، بعدما كانت لها تجربة أولى بتخرج أول دفعة سنة 2022م.

#### مركز باحثات:

وهو مركز أنشأته مجموعة من الباحثات السعوديات، في منتصف 1427هـ (2006-2007م) بالرياض، ليكون أول مركز علمي متخصص في قضايا المرأة لاستدراك الفراغ الموجود في هذا المجال، إذ أن معظم المشاريع السابقة عنه كانت ذات بعد دعوي واجتماعي<sup>14</sup> ...وهو يسعى إلى ترسيخ مفهوم شمولية الإسلام في معالجة قضايا المرأة من القرآن الكريم والسنة النبوية، وذلك انطلاقا من رؤية واضحة تتمثل في: (الريادة العلمية في قضايا المرأة) وتمثلت رسالة المركز في التأصيل والمواكبة الواقعية لقضايا المرأة المسلمة المعاصرة والمستقبلية، والمساهمة في التوجيه الإيجابي لمسارها، من خلال تقديم باقة من الخدمات البحثية لأصحاب القرار، وذوي الاهتمام بالمرأة عموماً .

<sup>13</sup> معاناة صفحتي: جمعية حورية للمرأة الجزائرية ، وصفحة لجنة للتأهيل الزوجي يوم : 2025/04/22م.الساعة التاسعة ونصف .  
<sup>14</sup> انظر:إكرام بنت كمال المصري، جهود بعض المنظمات والجمعيات النسائية الإسلامية في مواجهة مؤتمرات المرأة الدولية،

ومن أهدافه: دعم البحث العلمي في مجال المرأة والأسرة، واستشراف مستقبل المرأة ودورها التنموي، ورعاية الشخصيات الفاعلة والناشطة من الناحيتين الفكرية والعلمية<sup>15</sup>.

أهم الإنجازات التي حققها مركز باحثات للمرأة والأسرة:

لقد حقق المركز نجاحات وإنجازات كثيرة على مجموعة من المستويات: على مستوى البحث العلمي في قضايا المرأة: ويقوم على إصدار البحوث والدراسات النظرية والميدانية، وتقديم الخدمات اللازمة للباحثين في مجال المرأة والأسرة، وتعتبر إصدارات مركز باحثات في وقتنا الراهن أهم ما كتب باللغة العربية في التصدي للحركة النسوية، والفكر التغريبي عموماً. على مستوى البرامج التأهيلية والتدريبية: إذ عمل المركز على تأهيل متخصصات في قضايا المرأة، وفق برنامج يهدف إلى تعليم وتدريب المرأة البحث السليم و أسس التفكير الصحيحة، والتزويد بالوعي لإدراك متغيرات الساحة الفكرية والواقعية في المجال، يقوم عليه مدربات ومدربون على مستوى عال من العلم والخبرة، ويكون على مراحل. كما قام المركز ببرنامج تأهيل نسائي للتخصص في المرأة وقضاياها يكون نواة لمركز أكثر دقة متفرعا عن الأصلي. إلى جانب برنامج تأهيلي أسري للرجال والنساء لمواجهة التحديات التي تعترض المرأة والأسرة. وإنشاء كرسي دراسات المرأة يتم من خلاله طرح البحوث والدراسات الجامعية في المجال.

وعلى مستوى النشاط الاجتماعي: قدم المركز مجموعة كبيرة من ورش العمل والنشاطات للتوعية بقضايا المرأة والأسرة، تحسینا للمجتمع من الفكر الوافد ومخاطره والرد على الشبه المثارة حول قضايا المرأة والأسرة.

وعلى مستوى الملتقيات والمحافل الدولية والمحلية: كان للمركز حضور مميز في المحافل الوطنية والدولية بأوراق علمية مميزة. منها: مؤتمر: المرأة السعودية ما لها وما عليها في الرياض سنة: 1433 هـ 2012م ومؤتمر: اتفاقيات ومؤتمرات المرأة الدولية، وأثرها على العالم الإسلامي. في البحرين سنة 1431 هـ 2010م.

وعلى مستوى الاستشارات: يقدم المركز الاستشارات الخاصة بقضايا المرأة والأسرة، عن طريق عالمات وعلماء مختصين، محليا ودوليا.

ولتحقيق أهدافه استفاد المركز من الإعلام بكل وسائله، لإيصال رسالته إلى المرأة في كل أنحاء العالم فله موقع يتابعه أكثر من 7 ملايين زائرة، يتميز بالثراء في مجال تخصصه<sup>16</sup>.

خاتمة:

أورد القرآن الكريم مصطلح التمكين لمعان استخلافية على المستويين الفردي والجماعي، والمادي والمعنوي، وهو من سنن الله يتحقق بمحاربة الظلم وتأكيد شريعته عز وجل. وهناك بون شاسع بين مصطلح التمكين في الإسلام ومصطلح التمكين في الغرب، فبينما يأخذ مفهوم التمكين في الغرب لباسا ماديا دنيويا، يسعى إلى تأكيد الوجود في الحياة الدنيا، يرتبط في النظرة الإسلامية بالبعد القيمي الاستخلافي، الذي يصل الحياة الدنيا بالحياة الآخرة، إن التمكين للمرأة في الإسلام يرتبط بصالح الأمة والإنسانية أولا، ثم بحياة المرأة ورسالتها في الاستخلاف التي لا يفصل بين سعادت الدنيا والآخرة.

<sup>15</sup>. انظر: موقع مركز باحثات. تمت المعاينة يوم 2025/04/19.

<sup>16</sup>. انظر موقع باحثات، و إكرام بنت كمال المصري، جهود بعض المنظمات والجمعيات النسائية الإسلامية في مواجهة

لقد تم السطو على هذا المصطلح من قبل الفكر الحدائي وبخاصة النسوي، فوظف في معان باطلة في عمومها وتحول إلى مشروع تدميري في عمومته، إذ جعلوه من دلالات الجندر والمساواة بين الجنسين. ووظفوه لاستقواء المرأة في حربها المعلنة على الرجل ودعوتها إلى الاستقلال الكامل عنه والتمحور حول الذات.

والذي نعمده في مسألة التمكين هو تمكين الإسلام للمرأة، ليس لتصبح ندا للرجل، بل لتكون قادرة على البناء والتعمير، ولتكون طاقة فاعلة في الحياة، ممكنة للأسرة التي هي أساس بناء المجتمع والأمة، فتكون مرابطة في حمايتها من القلق العقدي والأفكار الهدامة التي تسعى إلى محاربة الدين تحت مسميات كثيرة.

إن الترويج لمفاهيم هذه المصطلحات بجهود متواصلة من الذين ابتدعوها، عبر وسائل الإعلام والكتابات الدائمة المستمرة، توحى لنا بأنها مشاريع طويلة المدى لها استشرافات مقصودة، وهذا يتطلب منا الحيطة وبذل الجهود المكثفة، لحماية أبنائنا عبر التربية السليمة والاهتمام ببنائهم العقدي و الكتابة والمحاور، وكشف الزيوف لترسيخ المعاني الصحيحة لما يروج من مصطلحات ظاهرها يحمل المودة وباطنها معياً بالسموم.

وإن كان التيار جارف فإن المرأة المسلمة واعية بما يحاك لها ولأسرتها، ففهمت كثير من النساء التمكين بمعناه الإسلامي الصحيح، وهي تعمل مجاهدة على مستويات كثيرة، مرابطة لحماية نفسها وأهلها وأمتها بالحفاظ على ثوابت الأمة .... وإن كانت جهودها لافتة للانتباه، فهي مطالبة بمواصلة المسير بتكوين بنات وأبناء يحملون رسالة الإنسان الخليفة.

ومن هنا نوصي بالعمل على تكوين داعيات متمكنات من العلوم الإسلامية منفتحات على علوم العصر وثقافته، وتوسيع مشاريع الإرشاد الأسري بين الشباب، وإعدادهم الإعداد الصحيح لبناء الأسري الرسالي. وتشجيع المشاريع التنموية التي تخدم المرأة والأسرة عن طريق الدعم المادي والمعنوي .

#### قائمة المصادر والمراجع:

- زينب عبد العزيز، احدثوا هذا المؤتمر، صفحة الداعية زينب عبد العزيز، موقع، صيد الفوائد.
- الأصفياني: مفردات القرآن الكريم، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.
- إكرام بنت كمال المصري، جهود بعض المنظمات والجمعيات النسائية الإسلامية في مواجهة مؤتمرات المرأة الدولية ،، مركز باحثات لدراسات المرأة، ط1، 12016.
- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.
- محمد الغزالي، ركائز الإيمان بين العقل والقلب، دار الشروق.
- محمد الصلابي، فقه انصر والتمكين في القرآن الكريم، 18 دار المعرفة بيروت، ط5
- نهى بنت عدنان القاطرجي، معجم المصطلحات الدولية حول المرأة والأسرة، مركز باحثات، الرياض، ط1، 2016.
- سيدة محمود محمد، مفهوم التمكين النسوي من المنظورين الغربي والإسلامي، ط1، 2021م (رسالة ماجستير، إشراف: السيد عمر وأحلام السيد نوقشت سنة: 2019م)
- ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر 1984م